

الحر والبرد

من نعم الله على الإنسان
أنه جعل الطبيعة تتردد بين حالتين :
البرودة والسخونة
وهما على درجات
إذا زادت البرودة جدا تجمد كل شيء
وإن زادت الحرارة جدا ذاب كل شيء
لكنهما في المستوى المعتدل
يقدمان للإنسان
إحساسين مختلفين :
الإحساس بالحرارة
والإحساس بالبرد
وكل منهما له وقت وموسم ..
وبما أن الجسد الإنساني مثل النبات
يحتاج إلى الشمس والرياح ،
والضوء والظلمة ،
فإنه يحتاج إلى كل من الحر والبرد
لكن الإنسان متسرع دائماً
عندما يهاجمه البرد ،
يلجأ إلى تدفئة المكان بالنار أو الكهرباء
وإلى الإكثار من الملابس والبطاطين
حتى يتجنب البرودة ، ويشعر بالدفء ..
وعندما تشتد حرارة الجو ..
يسرع أيضاً إلى استخدام الكهرباء
في تشغيل المراوح ، وأجهزة التكييف ، والثلاجات
وكلها مكلفة ..

يروى الجاحظ عن أحد الأعراب ، قال :
كنا إذا اشتد علينا الحر في أيام الصيف
ونحن بالمصحراء الملتهية بالشمس
يرشق أحدهنا عصاه في الرمل
ثم يضع عليها ثوبه كمظلة
ويجلس تحتها
وحينئذ تأتيه الريح من كل جانب
أفضل مما تكون في قصور كسرى وقيصر :
وكان ماوتسى تونج زعيم الصين
يصر على السباحة في نهر
شبه متجمد من البرودة
وظل يفعل ذلك حتى تجاوز الثمانين :

والناس في منطقة الإسكيمو المتجمدة ،
ووسط أفريقيا التي لا تفارقها الشمس
مازالوا يعيشون منذ آلاف السنين

وهم بصحة جيدة ،
وأولادهم أصبح من أولاد المدين المرفهة !
الذين تسقطهم ضربة شمس ،
وتمرضهم لفحة برد !